فضيلة
آدم سيد الخان
شهيدوف

هو المستشار الديني لرئيس الشيشان، تخرج من جامعة دمشق بكلية الشريعة في سوريا عام 2003، وعين إمام المسجد المركزي في مدينة "أرغون"، ثم مستشارا لمفتي جمهورية الشيشان. ومنذ عام 2008 حتى الآن يشغل منصب المستشار الديني لفخامة رئيس جمهورية الشيشان رمضان أحمد قديروف.

فضيلة آدم سيد الخان شهيدوف

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أ.د. أحمد الطيب رئيس مجلس حكماء المسلمين، قداسة البابا فرنسيس، بابا الكنيسة الكاثوليكية، أصحاب الفضيلة العلماء، الإخوة الفضلاء المشاركون في هذا المحفل العالمي، يا من قَدِمتم إلى هذا البلد المضياف من كل بقاع الدنيا ومن مختلف الأديان والأعراق.. أحييكم بتحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اسمحوا لي في البداية أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى دولة الإمارات العربية المتحدة قيادة وشعبا، وعلى رأسهم صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة وجميع حكام الإمارات، على كل ما يبذلونه من جهود يصل صداها إلى أرجاء العالم، جهود تسعى لنشر قيم التعايش والتسامح والأخوة بين الناس جميعا، وما هذا اللقاء الأخوي الذي نشهده اليوم إلا خطوة ثابتة في تلك الجهود التي يبذلونها، فجزاهم الله خير الجزاء.

إن الناس جميعاً باختلاف ألوانهم وأديانهم يلتقون في أب واحدٍ هو آدم عليه السلام، وأم واحدة هي حواء عليها السلام، فلا فضل لأحد على أحد؛ قال تعالى: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ وهذا يترتب عليه حقوق والتزامات، ثم أرسى الله مبدأ التواصل والتعارف بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، فالتعارف والتواصل الإنساني الحضاري مقصد من مقاصد الشرع الشريف.

• وهنا يبرز أول منطلق من منطلقات الأخوة الإنسانية، ألا وهو منطلق المساواة، فالكل يُدلي بما يُدلي به الآخر، سواء بسواء، فالكل يدلي إلى آدم وحواء عليهما السلام، وهذا ما أكّدَه النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد، قال ﷺ: ﴿يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى﴾. ومنطلق المساواة يفرض علينا أن نتعامل مع سائر البشر بدون كِبر، وأن نحترم حقوقهم (حق الحياة، حق الكرامة، حق التعليم، حق التفكير).

• المنطلق الثاني من منطلقات الأخوة الإنسانية؛ منطلق السعي في مصالح الإنسانية، والحذر من مَضرتها، وهذا حق عام لا يؤثِّر عليه اختلاف الدين أو العرق أو الوطن، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). فلا يبلغ الإنسان درجة الإيمان الذي يحبه الله تعالى ويرتضيه حتى يكون بهذه الصفة لعباد الله أجمعين، فيتخلَّق بكفِّ الأذى عنهم، ومودته الخير لجميعهم، وصرف الضر عنهم.

وتحت راية هذا المنطلق يسعى الصادقون والمخلصون إلى دفع الشرور والأضرار والحروب عن القريب والبعيد، وإحلال السلام بدل السلاح، وتوفير الحاجات والتحذير من الآفات.

• المنطلق الثالث من منطلقات الإخاء الإنساني؛ منطلق الرحمة. وقد جاء في الحديث

الـذي رواه الإمـام النسـائي فـي سـننه والحاكـم فـي مسـتدركه أن النبـي ﷺ قـال: (أفشـوا السـلام بينكـم، فَوَالـذي نفسـي بيـده، لا تدخلـوا الجنـة حتـى تراحمـوا، قالـوا: يـا رسـول اللـه، كلنـا رَحِـمٌ، قـال: إنـه ليـس برحمـة أحدكـم خاصتـه، ولكـن رحمـة العامـة). وقـول الصحابـة رضـي اللـه عنهـم: (كلنـا رَحِـمٌ)؛ أي: كلنـا متصـف بالرحمـة، فـكان الجـواب مـن النبـي عليـه الصـلاة والسـلام أن الرحمـة المقصـودة المطلوبـة هـي الرحمـة التـي تسـكن قلـبَ الإنسـان تجـاه المخلوقـات كلهـا، فهـذه الرحمـة المطلوبـة هـي التـي يتحقـق بهـا الخيـر والعمـار، ويندفـع بهـا الشر والدمار.

وجـاء فـي الحديـث الـذي رواه الترمـذي أن النبـي ﷺ قـال: (الراحمـون يرحمهـم الرحمـن، ارحمـوا مـن فـي الأرض يرحمكـم مـن فـي السـماء). وتأمـل أيهـا المسـلم قـول النبـي ﷺ : (مَـنْ فـي الأرض) لتعلـم أن هـذه الرحمـة عامـة شـاملة للإنسـان والحيـوان، نقـول هـذا أيهـا الإخـوة فـي زمـن يمـوت فيـه الأطفـال والنسـاء تحـت صقيـع الثلـوج، ووطـأة الحـروب التـي جَـرَّ إليهـا الطمـع والجشع.

• المنطلـق الرابـع مـن منطلقـات الأخـوة الإنسـانية منطلـق التعـاون علـى الخيـر، قـال ربنـا جـل جلالـه: ﴿وَتَعَاوَنُـوا عَلَـى الْبِـرِّ وَالتَّقْـوَى وَلَا تَعَاوَنُـوا عَلَـى الْإِثْـمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائـدة:2]، أمـرَ اللـه تعالـى بالمشـاركة والمبـادرة والبـذل فـي سـبيل الخيـر، فَمِـنْ مبادئنـا -نحـن المسـلمين- أنْ نتعـاون مـع جميـع النـاس علـى الخيـر بغـض النظـر عـن أديانهـم وألوانهـم وأوطانهـم، ونجتنـب الإضـرار بهـم، ونحـذر مـن جلـب الشـرور إليهـم، مـع طهـارة قلوبنـا مـن الكراهيـة، وابتعادنـا عـن العدوان على أحد من الناس.

فـلا يجـوز أن يكـون الاختـلاف فـي الديـن أو العـرق أو الوطـن سـبباً فـي الإثـم والعـدوان، وإذا كان حُـبُّ الوطـن مـن الإيمـان، فـإن الكراهيـة والاعتـداء علـى أوطـان الآخريـن ليـس مـن الإيمـان، فلا يجوز أن يكون حُبُّ الوطنِ مبرراً للاعتداء على أوطان الآخرين.

• المنطلـق الخامـس مـن منطلقـات الأخـوة الإنسـانية منطلـق التعايـش، قـال اللـه تعالـى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: 8]. فالإسلام يغرس شجرة العدل والبر بين البشر، على مبدأ التواصل الحضاري، والتراحم الإنساني، حتى يستظل الجميع بوارف ظلال العدل والخير.

إن التعايش لا يعني أن يؤمن الإنسان بجميع الآراء والأديان، وأن يُظهر رضاه تجاه كل المعتقدات، بل التعايش هو أن تكون مع قناعتك بالحق، وتَشَبُّعِكَ ببراهينه قابلاً لأن تَعيشَ مع الآخرين في أمنٍ وسلام، وتُشارِكَ البشريةَ في جوانبِ الخيرِ، وطرائقِ البناء والازدهار، وتُنافسَ في بناء الصرح الحضاري العالمي.

إن التعايش يعني منعَ إثارة النعرات القومية، والخصومات الدينية، والنزاعات المذهبية، وأن يعملَ الناسُ ضمنَ القواسم والقضايا المشْتَركة.

إن العقلاء يعلمون أن التعايش والتعاون هو طريق البناء والخير للجميع، وأنَّ التخاصم والتنازع هو طريق الهاوية التي تسوق الجميع إلى الفشل.

واسمحوا لي في نهاية الحديث أن أتكلم لكم وباختصار عن جزء من تجربتنا في جمهورية الشيشان عندما حضر إلينا مجموعات من الأشخاص يعتنقون الأفكار المتشددة والمتطرفة ولا يؤمنون بالتعايش مع الآخر ليس من غير دين ومعتقد فحسب بل من أبناء دينهم أيضا ممن خالفهم في بعض المسائل فعشنا أوقاتا عصيبة وقاسية من الحروب والخوف والخراب والدمار ولكن بفضل الله تعالى أولا وبرؤية حكيمة عاقلة من مفتي جمهورية الشيشان ورئيسها الأسبق، الشهيد –بإذن الله تعالى- الشيخ الحاج أحمد قديروف –رحمه الله- الذي تبنى الأفكار الإسلامية الصحيحة في التعايش والتعاون والوسطية والاعتدال؛ فتغير الحال من الحرب إلى السلم ومن الخوف إلى الأمن ومن الدمار إلى البناء ومن التنازع إلى الإخاء.

ليس فقط بين أبناء المجتمع الشيشاني بل مع أبناء المجتمعات الأخرى في جمهورية روسيا الاتحادية ومع أبناء المجتمع الدولي، والآن يمشي على هذا النهج السديد ويكمل هذه المسيرة الناجحة الابن البار فخامة الرئيس الحالي لجمهورية الشيشان رمضان أحمد قديروف –حفظه الله- فأصبحنا نتعايش مع أنفسنا ومع غيرنا بكل مودة ومحبة وإخاء وكل ذلك عندما أدركنا معاني الأخوة الإنسانية التي أقرها شرعنا الإسلامي الحنيف ثم طبقناها في حياتنا العملية.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير لهذا الملتقى المبارك التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.